

ففي وحي الرسالة المحمدية يتنزل الروح الأمين من أمر الله بأمر الله، وعلى روح الرسول الأمين من أمر الله بأمر الله، بالروح القدسي الرسالي من أمر الله بأمر الله، وبالروح الوحي القرآني من أمر الله بأمر الله، أرواح أربع كلها «من أمر ربي وبأمر ربي» كوناً وكياناً ونزولاً ونازلاً ومنزلاً:

فالروح القدسي الرسالي المحمدي بوحياها هي روح الأرواح كلها، وسائر الأرواح أبدان لها، من سفلي هو روح الإنسان ومن علوي هو روح الرسالات غيرها وبينهما متوسطات عواناً.

تلکم الروح القدسية في محمد ﷺ والمحمديين من عترته أعظم من جبريل وميکال ومن الروح زعيم الملائكة وهي كسائر الأرواح من أمر الله دون سواه.

﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾:

هنا مثلث من الاحتمالات في مخاطب ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ﴾ أنهم هم المشركون أم السائلون عن الروح أم العقلاء أجمع، ثم العلم قد يعني العلم المطلق، وأخرى مطلق العلم وحيّاً أو سواه. وثالثة العلم بحقائق الأشياء، ثم قليلاً قد يعني قليلاً من العلم وأخرى قليلاً منكم، فمجموعة الاحتمالات ثمانية عشر، قد تعنيها الآية كلها، على مراتبها في درجاتها أديباً ومعنوياً! وقد تصدق بعضها روائياً.

فهم «الذين لم يؤتوا من الله فوائد العلم فوصفوا ربهم بأدنى الأمثال وشبهوه بالمشابهة فيما جهلوا به فلذلك قال ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ فليس له شبه ولا مثل ولا عدل»<sup>(١)</sup> فتعالى أن تكون الروح شيئاً من ذاته المقدسة كما يهرفه الخارقون ويكذبه العارفون.

(١) نور الثقلين ح ٤٣٩ كتاب التوحيد بإسناده إلى حنان بن سدير عن أبي عبد الله عليه السلام حديث طويل يقول فيه «ووصف الذين لم يؤتوا من الله فوائد العلم منهم».

وهم الخلق أجمعون ف «لم يؤت من العلم إلا أناس يسير فقال ﴿وَمَا أُوتِيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾<sup>(١)</sup> .

ف ﴿قَلِيلاً﴾ من العلم قلة في قلة في قلة أوتيتها العالمون أجمع مهما كان نصيب أصحاب الوحي على مراتبهم أوفر ثم من يليهم، و«قليل» أوتوا قلة واحدة هي «من العلم المطلق» هم رجالات الوحي وأضرابهم، إذ لم يؤتوا على غلاتهم إلا قليلاً من علم الغيب، مهما كان كثيراً وجاه الآخرين، فإنه قليل وجاه رب العالمين «وما أوتيتم كثير فيكم قليل عند الله»<sup>(٢)</sup> .

فأين هذه القلة القليلة من العلم والنيل من حقيقة الروح كما الله يعلم، وقد يعلم من حقيقتها أولياءه الخصوص بعضاً لا كلاً، حيث العلم المطلق بحقيقة شيء هو القدرة المطلقة على إبداعها، و﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ﴾<sup>(٣)</sup>؟ ثم لا يعلم هذه القلة سائر الخلق، وإنما يعلمون بما أوحى الله مثلثاً من علم الروح كما تفيدته ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ حدوثاً ومادية في كونه وأنه ﴿مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ في كيانه .

(١) نور الثقلين ٣: ٢١٩ ح ٤٣٨ تفسير العياشي عن عمرو بن شمر عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله: ﴿وَمَا أُوتِيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾ [الإسراء: ٨٥] قال: تفسيرها في الباطن أنه لم يؤت العلم إلا أناس يسير فقال: ﴿وَمَا أُوتِيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾ «منكم» أقول وقليلاً في نصبها استثناء عن العلم ورفعها استثناء عن ضمير الجمع في ﴿مَا أُوتِيْتُمْ﴾ [آل عمران: ٧٣] ويجوز أن يراداً معاً واللفظ منصوب لرجاحة احتمالها على الآخر .

(٢) المصدر ح ٤٣٧ تفسير القمي أن اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح فقال: ﴿الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾ [الإسراء: ٨٥] قالوا: نحن خاصة؟ قال: بل الناس عامة، قالوا: فكيف يجتمع هذان يا محمد! تزعم أنك لم تؤت من العلم إلا قليلاً ولقد أوتيت القرآن وأوتينا التوراة وقد قرأت ﴿وَمَنْ يُؤْتِ الْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: ٢٦٩] وهي التوراة ﴿فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩] فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمْدُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧] يقول: علم الله أكبر من ذلك وما أوتيتم كثير فيكم قليل عند الله .

(٣) سورة فاطر، الآية: ٣ .

فإذ لا علم بالروح إلا قليلاً للأقلين ثم القليلين فبأحرى لا طاقة لخلقه وتحصيله لأحد من العالمين! فما الروح أياً كان ﴿مَنْ أَمَرَ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾! ويروى «لقد قبض الرسول ﷺ وما يعلم الروح»<sup>(١)</sup> بحقيقته أياً كان، اللهم إلا قليلاً، وله في وحيه مثلث الروح: منزلاً هو روح العصمة في قلبه، ومنزلاً به هو روح القدس جبريل أم الروح عظيم الملائكة، ونازلاً هو روح الوحي قرآناً وسواه من وحي.

وكمثال على عدم استقلاله ﷺ على مكانته العليا، في تحصيل الروح أياً كان، من وحي وروح العصمة القدسية، يتهدده ربه خطاباً بياك أعني واسمعي يا جارة، أن ليس الوحي ومثيله حصيلة كمال العقل ونبوغه (وحي العقل) ولا أن ذلك علة تامة في حصوله لكي تقتضي بقاءه على أية حال، وإنما هو أمر من أمر الرب يهبه لمن يشاء ويصرفه عمن يشاء: ولئن . . .

﴿وَلَيْنَ شِئْنَا لَنُدْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾<sup>(٨٦)</sup>  
 ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾<sup>(٨٧)</sup> :

لو أن هذه الروح أو تلك كان من أمرك ككل أمر منك، فلا تذهب إذاً عنك، حيث الاستقلال في الحصول على شيء يمنع الاستغلال في الذهاب به دون خيره المستقل - رغم أننا ﴿وَلَيْنَ شِئْنَا لَنُدْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ من روح قدسية ومن وحي . . .

لقد شاء الله أن يحتبس الوحي عن رسوله لفترة قصيرة لحكم شتى، منها التبیین أنه من أمر الله لا من أمره دون ودع ولا قلى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾<sup>(٢)</sup> . . . ولئن شاء لذهب بكل الذي أوحى إليه من روح النبوة والوحي ولكنه لا يشاء حيث اصطفاه برسالته على علم.

(١) الدر المنثور ٤: ٢٠٠ - أخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن عبد الله بن بريدة قال .

(٢) سورة الضحى، الآية: ٣.

فربه هو يُقرئه وحيه وهو الذي يبقيه ولا ينسيه ﴿سُنُقِرْتُكَ فَلَا تَنْسَى﴾<sup>(١)</sup> وهو الذي يسدده دوماً حتى لا يكاد يركن إلى غيره ولو شيئاً قليلاً ﴿وَلَوْلَا أَنْ تَبَنَّكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً﴾ إذا ف ﴿الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ لا أمري فضلاً عن غيري!

إن الروح الأمين هو من أمره وينزل بالروح إليك من أمره، فليس هنا وهناك في أمر الوحي إلا أمره لا سواه.

إنه تعالى لا يريد ولن أن يذهب بالذي أوحى إليه «وقد يعلم ما لا يريد أبداً»<sup>(٢)</sup> «وإن كان قادراً على ما لا يريد أبداً»<sup>(٣)</sup>.

وفيما لو ذهب بالذي أوحى إليه من روح النبوة أو روح الوحي ﴿لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عِلْمًا وَكَيْلًا﴾ توكله أو يتوكل عنك في استرجاعه ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ هي الوكيل لك لا سواها ف «إن الله غالب على أمره» والروح من أمره! ﴿إِنَّ فَضْلَهُ كَأَن كَانَ عَلَيْكَ كَيْبَرًا﴾ كما استمر في وحيه عليك بعد انقطاعه رداً من الزمن دون ودع ولا قلى.

(١) سورة الأعلى، الآية: ٦.

(٢) نور الثقلين ٣: ٢١٩ ح ٤٤٠ في عيون الأخبار في باب مجلس الرضا عليه السلام مع سليمان المروزي حديث طويل وفيه قال الرضا عليه السلام: يا جاهل فإذا علم الشيء فقد أرادته؟ قال سليمان: أجل - قال: فإذا لم يرد له لم يعلمه؟ قال سليمان: أجل، قال: من أين قلت ذلك وما الدليل أن إرادته علمه وقد يعلم ما لا يريد أبداً وذلك قوله: ﴿وَلَكِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [الإسراء: ٨٦] فهو يعلم كيف يذهب ولا يذهب به أبداً؟ قال سليمان: لأنه قد فرغ من الأمر فليس يزيد فيه شيئاً، قال الرضا عليه السلام: هذا قول اليهود فكيف قال: ادعوني أستجب لكم قال سليمان: إنما عنى بذلك أنه قادر عليه، قال: أفبعد ما لا يفي به؟ قال: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ [فاطر: ١] وقال عز وجل: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكُتُبِ﴾ [الرعد: ٣٩] وقد فرغ من الأمر؟ فلم يحجر جواباً وفي كتاب التوحيد مثله سواء.

(٣) المصدر ح ٤٤١ في كتاب الاجتماع للطبرسي عن الرضا عليه السلام حديث طويل وفي آخره قال سليمان: إن الإرادة هي القدرة، قال الرضا عليه السلام وهو يقدر على ما لا يريد أبداً لا بد من ذلك لأنه قال تبارك وتعالى: ﴿وَلَكِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [الإسراء: ٨٦] فلو كانت الإرادة هي القدرة كان قد أراد أن يذهب به بقدرته، فانقطع سليمان...

وأما انقطاعه لوذع أو قلى حيث هما في خيانة الرسالة لا سواها:  
﴿وَلَوْ نَقَوْلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾<sup>(١)</sup> فإنه انقطاع دائم لا رجوع فيه ولا رحمة  
تعتريه: ﴿لَاخْذَنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾<sup>(٢)</sup> ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ  
حَازِنِينَ ﴿٤٧﴾...!.(٢)

ولكنه ليس بالذي يخون في رسالته أو يزيغ<sup>(٣)</sup> أو يخطر بخلده، وليس  
الله ليبيعت من يخون.

وحين يتهدد ربنا رسوله بذهاب ما أوحى إليه لو زاغ، فهل يشمل ذلك  
التهديد الأمة الإسلامية أن يذهب بالقرآن من بينهم وحتى من صدورهم إذا  
خانوا وزاغوا وكما يروى عن النبي ﷺ: «يُدرِّس الإسلام كما يُدرِّس وشي  
الثوب حتى لا يُدرى ما صيام ولا صدقة ولا نسك، ويُسرَى على كتاب الله  
في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية ويبقى الشيخ الكبير والعجوز يقولون:  
أدركنا آباءنا على هذه الكلمة: لا إله إلا الله. فنحن نقولها»<sup>(٤)</sup>. أو يأتي

(١) سورة الحاقة، الآية: ٤٤.

(٢) سورة الحاقة، الآيات: ٤٥-٤٧.

(٣) الدر المثور ٤: ٢٠٠ - أخرج الحكيم الترمذي عن ابن عباس قال لما قدم وفد اليمن على  
رسول الله ﷺ فقالوا: أبيت اللعن؟ فقال رسول الله ﷺ: سبحان الله إنما يقال هذا للملك  
ولست ملكاً أنا محمد بن عبد الله! فقالوا: إنا لا ندعوك باسمك - قال: فإن أبو القاسم،  
فقالوا: يا أبا القاسم إنا قد خبأنا لك خبيئاً - فقال: سبحان الله إنما يفعل هذا بالكاهن  
والكاهن والمكتهن والكهانة في النار فقال أحدهم فمن يشهد لك أنك رسول الله فضرِب بيده  
إلى حفنته حصاً فأخذها فقال: هذا يشهد أنني رسول الله، فسبَّحن في يده فقلن نشهد أنك  
رسول الله فقالوا: أسمعنا بعض ما أنزل عليك فقرأ والصافات صفاً حتى انتهى إلى قوله:  
فأتبعه شهاب ثاقب، فإنه لساكن ما ينبض منه عرق وأن دموعه لتسبقه إلى لحيته فقالوا: إنا  
نراك تبكي أمن خوف الذي بعثك تبكي؟ قال: بل من خوف الذي بعثني أبكي، إنه بعثني على  
طريق مثل حد السيف إن زغت عنه هلكت ثم قرأ ﴿وَلَيْنَ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا  
يَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٦].

(٤) المصدر ١ - ٢ - أخرج الحاكم وصححه البيهقي عن حذيفة قال قال رسول الله ﷺ...

«على الناس زمان يرسل إلى القرآن ويرفع من الأرض»<sup>(١)</sup> أو «ينسج من القلوب والمصاحف»<sup>(٢)</sup> «فيصبح الناس ليس في الأرض ولا في جوف مسلم منه آية»<sup>(٣)</sup> أو «لا تقوم الساعة حتى يرفع الذكر والقرآن»<sup>(٤)</sup>.

وترى ما هو الذنب الذي به يرفع القرآن؟ هل هو الكتب التي يكتبونها مع كتاب الله<sup>(٥)</sup> ومؤيد القرآن منه وشارحه من سنة أم ماذا يسانده، ومخالفه منه يعرض على الحائظ وكما في أحاديث العرض، اللهم إلا أن يُعنى الكتب التي تجعل القرآن منسياً!

أم إن رفعه يعني رفع علومه وتطبيق أحكامه؟<sup>(٦)</sup> وهو واقع في أمة اتخذت هذا القرآن مهجوراً، وقد يعنيه انسباخه عن القلوب حيث تنقلب عنه وعن المصاحف حين تهجر تفقهاً وتعلماً أم وقراءة.

وفي الحق أن القرآن منذ بعيد زمن منسج مرفوع عن أرض الإسلام وعن القلوب وحتى عن الحوزات العلمية، فدَرسه مندرس، وآياته لا تدرس، ومن أقبل إلى درسه يُرفض أو يتهم بالجهالة والباطلة وإلا فلماذا القرآن؟

- 
- (١) المصدر أخرج ابن عدي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ . . .
- (٢) المصدر - أخرج الديلمي في مسند الفردوس عن معاذ بن جبل قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: أطيعوني ما دمت بين أظهركم فإذا ذهب فعليكم بكتاب الله أحلوا حلاله وحرّموا حرامه فإنه سيأتي على الناس زمان . . .
- (٣) المصدر - أخرج أبو الشيخ وابن مردويه والديلمي عن حذيفة وأبي هريرة قالوا قال رسول الله ﷺ يسري على كتاب الله ليلاً فيصبح .
- (٤) المصدر أخرج ابن مردويه عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ لا تقوم الساعة .
- (٥) المصدر أخرج ابن مردويه عن ابن عباس وابن عمر قالوا خطب رسول الله ﷺ فقال: أيها الناس ما هذه الكتب التي بلغني أنكم تكتبونها مع كتاب الله يوشك أن يغضب الله لكتابه فيسري عليه ليلاً لا يترك في قلب ولا ورق منه حرفاً إلا ذهب به فقيل: يا رسول الله ﷺ فكيف بالمؤمنين والمؤمنات؟ قال: من أراد الله به خيراً أبقى في قلبه ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [الصافات: ٣٥].
- (٦) كما أخرجه محمد بن نصر عن الليث بن سعد قال: إنما يرفع القرآن حين يقبل الناس على الكتب ويكتبون عليها ويتركون القرآن.

وهناك كتب علمية عميقة هي التي تشكل علوم الحوزات وتنصب أعلامها! كما يهرفه الهارفون! وأما أن يرفع القرآن عن بكرته. فلا يوجد لمتحري الحق، فهذا رفع للحجة عن المؤمنين به والكافرين، وثم إذا استحق العصاة رفعه فما ذنب المؤمنين ألا يبقى لهم منه إلا ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾؟! ولا تتهدد الآية برفع القرآن إلا الرسول تدليلاً على أن الروح: القرآن وسواه، إنما هو من أمر الله لا سواه، وفي التي تتهدد الرسول أخذاً باليمين لو تقول على الله بعض الأقاويل، تدليل على عصمة القرآن وأنه حجة بالغة على المكلفين، ثم لا تجد تصريحاً ولا تلوحة تهدد العصاة برفع القرآن. إلا أن هذه الشفاء والرحمة للمؤمنين لا تزيد الظالمين إلا خساراً، ومن ثم فالفضل الكبير للرسول هو للمؤمنين دونما انقطاع: ﴿وَيَشِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَثِيرًا﴾<sup>(١)</sup> أو يُعقل انقسام القرآن في كونه بين المؤمنين فكائن وبين غير المؤمنين فغير كائن، اللهم إلا في شفاءه ورحمته.

ذلك الروح القرآن كسواه من أرواح ﴿مِنَ أَمْرِ رَبِّي﴾ لا سواه، فلو تعاضد الإنس والجن - وأنت معهم دون وحي - لن يأتوا بمثل هذا القرآن! كما لن يحيط بعلمه روحاً ظاهرة كالقرآن أم خفية كروح الإنسان أو القدسي الرسالي أم ماذا؟:

﴿قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾<sup>(٢)</sup>:

والمثل المتحدى فيه ليس فقط القرآن كله، وإن كان أعضله، بل وبأبعاضه ما يسمى قرآناً كسورة مثل الكوثر، أم وآية تامة، حيث الآية الإلهية

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤٧.

(٢) راجع تفسير الآية ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا...﴾ ﴿البقرة: ٢٣﴾ في البقرة. تجد فيه بحثاً مفصلاً عن إعجاز القرآن.

هي الدالة بنفسها على أنها إلهية، وكل جملة من القرآن آية فالتحدي بإتيان المثل تشمله كما تشمل سورة وعشراً وإلى كله.

كما المماثلة المتحدى فيها تعم جانبي اللفظ والمعنى، فإنه القرآن فيهما، وليس كلهم عرباً يتحدثون به لفظياً!.

وطالما حاول الناكرون أن يأتوا بمثله فرجعوا خاسرين، ﴿وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ بعض من الإنس مع إنسه<sup>(١)</sup>، وبعض من الجن مع جنه، أم إنس مع جن، ولو تظاهروا طول الزمان وعرض المكان، ولو كرسوا طاقاتهم كلها ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ أفليس إذاً الروح القرآن من أمر الله لا سواه<sup>(٢)</sup>.

وقد تلمح الآية بإمكانية اجتماع الإنس والجن، وإن أحالت أن يأتوا بنتيجة الاجتماع بمثله، فلو استحال الاجتماع لم يكن هناك تحدٍ، وإنما تحيل ما بالإمكان توفر وسائله لا المستحيل بداية ونهاية! وترى هذا الإنس عرفنا عيهم عن الإتيان بمثله حتى الآن، فكيف لنا التعرف إلى عي الجن في هكذا إتيان؟.

(١) نور الثقلين ٣: ٣٢٠ ح ٤٤٤ في الخرائج والجرائح في أعلام أبي عبد الله عليه السلام أن ابن أبي العوجاء وثلاثة نفر من الدهرية اتفقوا على أن يعارض كل واحد منهم ربع القرآن وكانوا بمكة وعاهدوا على أن يجيئوا بمعارضة في العام القابل فلما حال الحول واجتمعوا في مقام إبراهيم قال أحدهم: إني لما رأيت قوله: ﴿يَتَأْرَضُ أَبْلَعِي مَاءَكَ وَنَسَمَاءُ أَقْلِي وَغِيصَ الْمَاءِ﴾ [هود: ٤٤] كنفتم عن المعارضة، وقال الآخر: وكذا أنا لما وجدت قوله: فلما استبأسوا منه خلصوا نجياً «أيست من المعارضة، وكانوا يسترون ذلك إذ مر عليهم الصادق عليه السلام فالتفت إليهم وقرأ عليهم ﴿قُلْ لَيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ [الإسراء: ٨٨] فبهتوا.

(٢) الدر المنثور ٤: ٣٠٣ - أخرج ابن إسحاق وابن جرير ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم محمود بن سبحة ونعيمان بن اصماد ومجزئ بن عمرو سلام ابن مشكم فقالوا: يا محمد! هذا الذي جئت به حق من عند الله فإننا لا نراه متناسقاً كما تتناسق التوراة فقال لهم: أما والله لتعرفون أنه من عند الله قالوا: إنا نجيتك بمثل ما تأتي به فأنزل الله: ﴿قُلْ لَيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ﴾ [الإسراء: ٨٨] الآية.



نقول: لأن الإنسان مخلوق في أحسن تقويم فلا أحسن منه أياً كان، فعدم إتيانه بمثله دليل على عدم الإتيان ممن في مستواه، فضلاً عن الجن الذي هو أدنى من الإنسان! ثم لو كان للجن مثله لعارضوا القرآن بواسطة إخوانهم من الإنس ولما ولن! ثم والحكمة الهداية الإلهية قاضية أن لو كان بإمكان الجن الإتيان بمثله لوجب إظهاره للإنسان كما للجان حتى يتبين التدجيل في هذا القيل، ولما ولن!

إن معجزة القرآن كافية لكل إنس وجان في أي حقل من الحقول وأي عقل من العقول لمن ألقى السمع وهو شهيد ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِيَّاكَ فِي ذَلِكَ لِرَحْمَةٍ وَاذْكُرْ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٢﴾﴾ (١) والشهادة الإلهية ظاهرة في آياته، باهرة في بيناته، دون حاجة ضرورية إلى غيرها وهم يطالبون الرسول غيرها وهو دونها خلواً من الخلود في حجبها، أم خلواً من حجة:

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا

كُفُورًا ﴿١٨٩﴾﴾:

التصريف هو التكرار والمثل هو مواصفة المقصود بما يمثله ويُقرِّبه من الأفهام، والله يكرر الأمثال في ضربها دون تضارب، يضرب الأمثال تصريفاً لمزيد الانتباه، دون إبقاء على مثل لتمثيل الحق المرام تقريباً للأفهام إلا وهو ضاربها مصرفاً إياها ﴿فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾: كفراناً بالأمثال وكفراً بالممثلات ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ كُفُورًا﴾! والأكثرية الكفور في مثلث الكفران بعد إيمان في ترك من شروط الإيمان، أم نكران بعد إيقان ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾ (٢) وهو أعمق الكفر، أم تباعد عن آيات الإيمان كمن ﴿جَعَلُوا أَصْبَعَهُمْ فِي

(١) سورة العنكبوت، الآيات: ٥١، ٥٢.

(٢) سورة النمل، الآية: ١٤.

ءَاذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ ﴿١﴾ كيلاً يثبت لهم الحق مخافة أن يؤمنوا به وهو أحق الكفر ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ عن اتجاه إلى الحقائق القرآنية بأمثالها ﴿إِلَّا كُفُورًا﴾ في زاوية من هذه الثلاث:

هكذا قصروا في إدراكهم فقصرت عن التطلع إلى آفاق الإعجاز القرآنية تعنداً وتعنتاً. فأخذوا يتطلبون خوارق مادية في حسابانهم، متعنتين في اقتراحاتهم بكل طفولة ما لا يعينهم. أم ويغوبهم، أو يتبجحون في ذات الألوهية دون أدب ولا تحرج، لم ينفعهم أو يكفهم تصريف القرآن من كل الأمثال -:

﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتَ عَلَيْنَا كَيْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةَ قِيَلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزَّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٣﴾﴾:

أربعة عشر شخصاً من صنديد قريش يطالبون الرسول ﷺ بسبع من المعجزات في زعمهم (٢). بعد معجزة القرآن - وإن هي إلا هرطقات هارفة،

(١) سورة نوح، الآية: ٧.

(٢) الدر المشور ٤: ٣٠٣ - أخرج ابن جرير وابن إسحاق وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس أن عتبة وشيبة ابني ربيعة وأبا سفيان بن حرب ورجلاً من بني عبد الدار وأبا البخترى أخوا بني أسد والأسود بن عبد المطلب وزمعة بن الأسود والوليد بن المغيرة وأبا جهل بن هشام وعبد الله بن أمية وأمّية بن خلف والعاص بن وائل ونيبهاً ومنبهاً ابني الحجاج السهميين اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة فقال بعضهم لبعض ابعثوا إلى محمد وكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه فبعثوا إليه أن أشرف قومك قد اجتمعوا إليك ليكلموك فجاءهم رسول الله ﷺ سريعاً وهو يظن أنهم قد بدا لهم في أمره بدء وكان عليهم حريصاً يحب رشدهم ويعز عليه عنتهم حتى جلس إليهم فقالوا يا محمد إنا قد بعثنا إليك لنعذرك وإنا والله ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك لقد شتمت الآباء وعبت الدين =